حقوق الطبع محفوظة

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى

1371 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. 2003 مسيحي

منشورات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العظمى - طرابلس

18616

التفسير الفقهي عند ابن عطية

الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد

الجزء الأول

منشورات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العظمى - طرابلس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة الأحقاف: الآية: 15]

الإهداء

إلى روح والدي الذي فاته ركب العلم فجاهد أن يستدركه في ذريته من بعده. . .

وإلى روح والدتي التي عانت ألم بعدي عنها فترة شبابي في المشرق الإسلامي وفترة الكهولة في المغرب. . .

وإلى روح أخي وصديقي الأستاذ عبد الله الهوني الذي رحل في ريعان شبابه وترك مكانه بين إخوانه لا يسده أحد. . .

وإلى زوجتي وأبنائي الذين قاسوا معي عناء التنقل ومعاناة السفر وإجراءاته. . .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي عملي، داعياً الله للراحلين سابغ المغفرة والرحمة، وللأحياء دوام الصحة والسعادة.

المصطلحات والرموز المستخدمة في البحث

(ط.م) = الطبعة المغربية من المحرر الوجيز.
(ط.ق) = الطبعة القطرية من المحرر الوجيز.
(ن.م) = نفس المصدر إذا لم يفصل بينهما مصدر آخر.
(م.س) = المصدر السابق إذا فصل بينهما مصدر آخر.
(ن.ص) = نفس الصفحة.
(تح...) = تحقيق.
(تر...) = ترجمة.
(..../.....) = الجزء والصفحة.
(ص...) = الصفحة.
(هـ....) = هامش.
(... هـ) = التاريخ الهجري.
(... م) = التاريخ الميلادي.
(ط...) = الطبعة
(خ...) = مخطوط
(د.ت) = بدون تاريخ
(د.ط) = بدون ذكر الطبع
(ت...) = توفي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد حظي كتاب الله تعالى بالاهتمام به منذ أن أنزله الله على قلب رسوله الأمين ﷺ، فأقبل عليه العلماء يبحثون في جميع جوانبه، ويلتمسون الهداية من آياته، كل حسب تخصصه وميوله... وكان المفسرون من أول وأكثر العلماء اهتماماً بذلك.

فقد بدأ علم التفسير مع نزول الوحي، حيث كان الرسول الكريم ﷺ يتلو على أصحابه ما نزل عليه من القرآن، ويبين لهم منه ما يحتاج إلى بيان، وتلك رسالته عليه الصلاة والسلام؛ البلاغ والبيان. كما كان الصحابة يسألونه بيان ما أشكل عليهم أمره، من الأحكام والقضايا والمعاني، التي لم يكن لهم بها سابق علم، وبذلك كان ﷺ المفسر الأول.

ولما لحق ﷺ بالرفيق الأعلى، تولى مهمة التفسير نفر من علماء الصحابة، فكان الناس يقصدونهم للبيان، ومعرفة الأحكام، والحلال والحرام في كتاب الله تعالى، ثم قام من بعدهم تلاميذهم من التابعين، ثم أتباع التابعين.

وكان التفسير في هذه المراحل عبارة عن توضيح لبعض المسائل، وبيان لبعض القضايا أو الألفاظ، أو معرفة سبب النزول... ولم يفسر القرآن كاملاً

لعدم الحاجة إلى ذلك حينئذ، كما كان التفسير عبارة عن روايات يرويها اللاحق عن السابق إلى أن يصل السند إلى النبي ﷺ، وهو بهذا يعد نوعاً من السنة يشترط فيه ما يشترط فيها من صحة السند واتصاله، وكمال الضبط، وغير ذلك من الشروط المعروفة.

ثم جاء يحيى بن سلام البصري القيرواني (ت 200هـ) فألف كتاباً في التفسير جمع فيه ما استطاع جمعه من تفاسير الصحابة والتابعين، فكان بذلك أول كتاب يجمع التفسير بالمأثور في سفر واحد.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري ألف محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) كتابه المشهور (جامع البيان في تفسير القرآن) ضمنه تفسير يحيى بن سلام وغيره مما استطاع جمعه من التفاسير السابقة، وكان يدرس الروايات وينقدها، مبيناً وجه الضعف فيها، ويختار الصحيح منها، وحيث لم تثبت عنده رواية في تفسير الآية، اجتهد في تأويلها معتمداً على لسان العرب، وقواعد الترجيح والاستنباط.

وقام علماء الأندلس بعدة اختصارات لهذين التفسيرين.

وحيث لم يكتب لتفسير ابن سلام الانتشار والاشتهار، صار تفسير الطبري أساساً وقدوة لكل التفاسير التي ظهرت بعده، وصار هو إمام المفسرين بلا منازع.

ومع ظهور المذاهب الفقهية؛ ظهر لون جديد من التفسير، اقتصر أصحابه على آيات الأحكام واستنباط الأحكام الفقهية منها، وفق أصول مذهب كل واحد منهم ـ وإن كان يغلب عليها طابع الفقه المقارن ـ وبعضهم يغالي في نصرة مذهبه، وبعضهم يغلب عليه طابع الاعتدال.

كما قام بعض الفقهاء بتفسير القرآن كاملاً، لكنهم أعطوا الجانب الفقهي مساحة أكبر من اهتمامهم، حتى عدّت تفاسيرهم من كتب التفسير الفقهي.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري ظهر في الأندلس عالمان جليلان كان

لهما بالغ الأثر في تطوير التفسير في تلك البقاع، بحيث صارت الأندلس بفضلهما تُصدّر التفسير، بعد أن كان علماؤها يكتفون باستقبال كتب التفسير من المشرق، ويقومون بشرحها وتهذيبها أو اختصارها، وهذان العالمان هما: أبو بكر بن العربي (ت 543هـ) وأبو محمد عبد الحق بن عطية (ت 541هـ).

كان الأول منهما رحل إلى الشرق الإسلامي، وأطال التنقل في أقطاره، والتقى أشهر علمائه وأعلامه، فأخذ عنهم، وناظرهم، فكان ذلك كله سبباً لاشتهاره، وانتشار ذكره وأفكاره.

أما الثاني فلم تتح له فرصة الرحلة إلى المشرق أو لم يرغب فيها، وبقي في الأندلس يتنقل في ربوعه، ويحرص على لقاء علمائه، ويقصد القادمين من المشرق للأخذ عنهم والاطلاع على ما معهم، وكاد تفسيره يطويه الزمان، ويلفه عالم النسيان ـ رغم أهميته وتميزه ـ لولا بعض المفسرين الذين جاءوا من بعده، وتأثروا به، وأشادوا بفضله وقيمة تفسيره، ونقلوا عنه كثيراً من أفكاره، وأودعوها تفاسيرهم، وبفضلهم عرف التفسير واشتهر. . لكن تفسيره ظل حبيس الرفوف في الخزائن المختلفة، ولا يصل إليه أو إلى بعضه إلا قليل من الدارسين المتخصصين.

وفي ظل النهضة الحديثة التي تشهدها الجامعات العربية والإسلامية، ازداد اهتمام العلماء به، وعلت الأصوات التي تنادي بإخراجه إلى النور، وقامت حوله بعض الدراسات في مراحل التعليم العالي.

ثم شاءت إرادة الله تعالى أن يرى النور، ويعرف طريقه إلى المطابع، فألهم العاهل المغربي، وأمير دولة قطر، فأصدرا أوامرهما بتحقيق الكتاب وطبعه، كي يعم نفعه، فطبع أولاً في المغرب، محققاً من قبل المجالس العلمية في عدد من المدن المغربية، وصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في ستة عشر جزءاً، واستغرق طبعه عدداً من السنين. وهذه الطبعة تحتاج إلى إعادة النظر فيها.